

يأتلف فيها الجبل والسهل والبحر في حميمية مطلقة :

# حجة .. ياقوتة المدائن وقلعة الوطن الشامخة

## مكتب الآثار.. جهود مشكورة وعوائق وصعاب تبحت عن حلول

## قاهرة حجة .. تاريخ عريق وشاهد صدق على عظمة الإنسان اليمني

### ما يشبه البوح

■ إحدى وثلاثون مديرية، عقد وأسطه مدينة حجة .. تلك هي المحافظة المترامية الأطراف، تصعد إلى السماء حتى تعانق السحاب وتهبط تهبط حتى تستحم في مياه البحر .. ومنذ أن تعلق قمة جبل كحلان وأنت قادم من طريق صنعاء - عمران - حجة، يضافحك عبقٍ قديم تستحوذ عليك معه مشاعر من الحميمية والدهس، وجهاً لوجه، تكون على موعد مع عظمة الطبيعة وروعة المشهد، فقم شاهقة، منحدرات صخرية، وهوات سحيقة، ومنازل متناثرة هنا وهناك .. في طول الجبل وعرضه، تحال إنارتها، حين تنظر إليها ليلاً من الأسفل، أنجماً تومض بالحلب وتضغ بالأمل..

وحيث تتحدر من قمة الجبل في تلك الطريق الإسفلتية ذات المنعطفات التي

استطلاع - علي ربيع :

■ مسجد وقبة يحيى المرتضى - الظفير - حجة..



■ قلعة حجة التاريخية..

المتوفي سنة (٨٤٠هـ)، وهو مؤلف كتاب (شرح الأزهري)، وفيها قمته وقبة الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين (٩٦٥هـ)..

وإلى جوار حصن مدين تقع الناصرة، وهي من أنسب المواقع لممارسة رياضة الطيران وتسلق الجمال الشاهقة .. وتمتاز بموقعها المطل على مساحات من الأراضي الخصبة المسوية بالأعشاب والدرجات الزراعية المشيدة بأسلوب فني رائع، والقرى المتناثرة على قمم الجبال المحيطة بها .. وتكثر في منطقة (مدين) الجروف الصخرية التي تم استغلالها من قبل الإنسان منذ القدم..

وكانت (الذئاب) أو (الذئوب)، حالياً، مركزاً تجارياً هاماً وسوقاً نشطاً، وفيها عدد من المعالم الأثرية، ومنها مسجد قمة (الوشلي)، (٩٢٤هـ) وساجل بازل .. وتقع شمال حصن مدين وتبعد عنه كيلو مترين تقريباً.

وفي منطقة كحلان عفار يوجد أقدم حصن بني في المحافظة، ويوجد على قمة جبل (كحلان)، الذي يبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر قرابة (٢٥٠٠) متر .. ويرجع بناء الحصن إلى الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، (٦١٤هـ) .. ويسمى هذا الحصن بـ «حصن كحلان تاج الدين»، ولا يزال الحصن بوضع جيد، ويعد نموذجاً رائعاً لفن العمارة العربية، وتجسّد به مدينة كحلان العامرة ذات النمط المميز في عمارتها، وفيها عدد من المساجد والأضرحة، أبرزها جامع وقبة الأمير يحيى بن حمزة، (٥٦٣هـ)، والبيها ينسب للفقيه علي بن إبراهيم بن محمد العابد، (٩٨٣هـ)، ومحمد بن اسماعيل بن صلاح الأسير .. وفي الشرفين منطقة الشاهل شمال غرب المحافظة، وهي أرض جبلية خصبة، متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر (١٩٠٠) كيلو متر تقريباً، وتمتاز بموقعها الجغرافي وطبيعتها الخلابة وتحصناتها الطبيعية .. ومنذ القرن السابع الهجري زاد الاهتمام بها وشهدت أحداثاً وتطورات هامة .. إذ تساقق الولاة والحكام إلى السيطرة عليها والاستيلاء على حصونها المنيعة المشيدة فوق قممها الشاهقة، ولا يزال منظرها قائماً، كما الجاهلي، والمنصورة والعروس، ونعمان، والناصر، وقصة ملحا، وغيرها من الحصون والقلاع الحربية.

وكانت الشاهل مركز إشعاع ثقافي ظهرت بها هجرة ومعقل للعلم، وكان الإمام القاسم بن محمد قد لجأ إليها سنة (١٠٠٥هـ) وانطلق منها سنة (١٠١١هـ) لمقاومة العثمانيين .. بالإضافة إلى مناطق عديدة في محافظة حجة لا تزال في إطار المجهول ولم يتكشف بعد عن أثارها ومعالمها .. وهناك مناطق ذات شهرة خاصة ترتبط بحمال المكان وروعة كالمحاسب، وأفلح، وحجور، ووشحة، وغيرها..

### الوضع العام

■ محافظة حجة البالغ عدد سكانها قرابة المليون وسيمتاحة ألف نسمة، من المحافظات الواسعة والمقددة جغرافياً والمتنوعة، مناخاً وطبيعية .. وفي الأونة الأخيرة بدأت الخدمات تصل إلى مراكز المديرات .. ناهيك عن شبكة الخطوط التي بُدئت والتي في طور التنفيذ حالياً، وتامل بقية المناطق الأخرى وذات الدخل المحدود في وصول الخدمات إليها، أيضاً، وكأت كهرباء وماء ومشاريع ضخمة وتعليمية .. كما أنها تحتاج إلى عناية خاصة تُركز على إنعاش الواقع الزراعي واستثمار المساحات الواسعة في سهل تهامة زراعياً، ودعم وتشجيع المزارعين والمراعين، خاصة وأن حوض تهامة من الأحياء المائية الغنية ويمكن تغذيته بإقامة السدود المختلفة أسوة بسد وادي سون .. علماً بأن هناك عدداً من الأودية الهامة داخل المحافظة، مثل وادي لاعة، وادي عيان، وادي بني نسر، وادي حرض، وادي بوجل، وادي حيران .. وفي المناطق المرتفعة والجليلة بكاد يكون القات قد استاصل ما سواه من المزروعات .. حيث الربح الوفير والسريع، والناس بحاجة إلى توجيه لإدراك الخطر الذي يهدد غداهم ومزروعاتهم الأصيلة، خاصة شجرة اللين التي تتناقص شجيراتهم المتبقية يوماً بعد يوم أمام الطاعون الأخضر المسمى بـ «شجرة القات» .. ويعمل معظم سكان المحافظة في الزراعة .. وأهم المحاصيل - إلى جانب القات - الذرة والدخن والشعير، والبن، والسوسم، وبعض الفواكه بما فيها المانجو الأابري، والكمثرى، واهم ثرواتها الحيوانية، تتركز في رعي الأغنام والماعز والأبقار، وتطفي تربيتها بكثرة في الجزء النهامي من المحافظة..



### روعة الطبيعة هبات لا تقدر بثمن .. و«الأخضر» الأعلى يطفى على الأرض ويتوعد بالمزيد

مختلفة من تاريخ اليمن الإسلامي، وفي مختلف العلوم والمعارف الإنسانية، التي أسهم بها الإنسان اليمني في صنع الحضارة .. كما تمت فهرسة أكثر من مائة وسبعة مكاتب عامة وخاصة بحوثياتها من المخطوطات والمصاحف القيمة..

### مناطق أثرية

■ بالإضافة إلى قلعة القاهرة التاريخية بمدينة حجة، تشتمل محافظة حجة على عدد من الحصون والمعالم الأخرى، مثل حصن الظفير الذي يبعد قرابة (١٧) كيلو متراً شمال مدينة حجة ويقع على جبل ارتفاعه أكثر من (٢٠٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر، وهو هجرة أثرية قديمة ازدهرت منذ القرن الثامن الهجري .. لا سيما بعد أن لجأ إليها الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى



■ زخارف في جدار قبة الوشلي الأثرية - مدين - حجة..

الإمام يعول أبناء المديرات المحرومة كثيراً على خطط التنمية القادمة وما ستقدمه لها المجالس المحلية..

### أسواق المحافظة

■ ينتشر في عموم مديريات المحافظة عدد من الأسواق الرئيسية والمهمة، والتي تتولى إنعاش الحياة الاقتصادية، وتشتمل سوق خميس الهيج، وسوق الربوع في بني حسن، وسوق حرض يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وسوق الثوب في اسلم، إلى غيرهما من الأسواق التي تعج بالباححات المختلفة .. بالإضافة إلى الألف من الطالبين للعلاج في المستشفى السعودي بحجة، والذي مثل أحد عوامل الجذب للفرضى من جميع محافظات الجمهورية..

والذي تكاد تغادر مدينة حجة غرباً، حتى تُرحب بك السهول النهامية، مروراً بالأمان والطور ووصولاً إلى خشم وادي مور .. حيث تتلقى الطريق الساحلية إيجازاً - الجديدة، وهي الطريق التي مهدت لقيام العديد من التخصصات التجارية والإستثمارية والخدمية على امتداده، ابتداء من الخشم ومروراً بـ «الخميس»، و«شفسر»، و«عين»، و«انتحاء» بمدينة حرض..

■ من عيس تتجه شرقاً إذا أردت مديريات اسلم وخيران والحباشة والشاهل والقلل .. ومن خميس بني الهيج تتجه شرقاً إلى الكعبنة .. ومن جنوب مدينة حرض تتجه عبر طريق عامه حوث إلى مستبنا وعامه وحجور والشام وأقلع الشام وقارة ووشحة، ومن حرض، أيضاً، تتجه إلى الشمال الشرقي عبر طريق حرض - صعدة إلى بكل المجر، والمناطق الحدودية الشمالية .. وإلى الغرب تتجه من حرض إلى مدينتي - ويربط بين المديرات عدد من شبكة الطرق المقذدة، والتي لا تزال قيد التنفيذ .. وإذا كانت الهيئة الأساسية لإنشاء المحافظة هي الزراعة، فإن شجرة القات تحتل معظم أراضي مديريات المحافظة الجبلية، التي تشتهر بجودة قاتها، على حساب بقية المزروعات التي انقرضت .. ولا شك في أن عامل القات قد تسبب في إنعاش هذه المديرات اقتصادياً، يتجلى أثره في السجوة المستحدثة التي طغت على الشاهل والحباشة والفقل، وساعد على خلق تجمعات بشرية في كثير من المديرات .. بينما تحظى مديريات الساحل بزراعة الأذرة بانواعها والخضروات وأشجار المانجو التي صارت تُشكل مزارع ذات طاقة إنتاجية عالية .. لكن، مع ذلك، بقيت مديريات كثيرة - لعل أهمها خيران واسلم وبكيل المجر - واقعة بين الجبل والسهل، فقدت مميزات المناخ الجبلي وسعة السهل، وهو ما يعكس على الحياة العامة لسكانها الذين تزدني نسبة دخلهم، مما يضطرهم للهجرة إلى مديريات أخرى .. بالإضافة إلى افتقار هذه المديرات للخدمات المختلفة من كهرباء وماء ومشاريع خدمية أخرى .. وفي القادم من

والإستثمار في هذه المحافظة الغنية بكل مقومات الحياة..

### إلى الغرب .. إلى الشرق

■ ليست مدينة حجة سوى مديريةية واحدة إلى جانب ثلاثين مديريةية أخرى تتوزع حولها من بين جبل شاهق وسهل منبسسط وتجذب المئات من الوافدين إليها من المديرات المختلفة، بحكم أنها مركز المحافظة، وبها مكاتب الحكومة المختلفة .. ناهيك عن الطلبة المقيمين فيها للدراسة .. بالإضافة إلى الألف من الطالبين للعلاج في المستشفى السعودي بحجة، والذي مثل أحد عوامل الجذب للفرضى من جميع محافظات الجمهورية..

والذي تكاد تغادر مدينة حجة غرباً، حتى تُرحب بك السهول النهامية، مروراً بالأمان والطور ووصولاً إلى خشم وادي مور .. حيث تتلقى الطريق الساحلية إيجازاً - الجديدة، وهي الطريق التي مهدت لقيام

العديد من التخصصات التجارية والإستثمارية والخدمية على امتداده، ابتداء من الخشم ومروراً بـ «الخميس»، و«شفسر»، و«عين»، و«انتحاء» بمدينة حرض..

■ من عيس تتجه شرقاً إذا أردت مديريات اسلم وخيران والحباشة والشاهل والقلل .. ومن خميس بني الهيج تتجه شرقاً إلى الكعبنة .. ومن جنوب مدينة حرض تتجه عبر طريق عامه حوث إلى مستبنا وعامه وحجور والشام وأقلع الشام وقارة ووشحة، ومن حرض، أيضاً، تتجه إلى الشمال الشرقي عبر طريق حرض - صعدة إلى بكل المجر، والمناطق الحدودية الشمالية .. وإلى الغرب تتجه من حرض إلى مدينتي - ويربط بين المديرات عدد من شبكة الطرق المقذدة، والتي لا تزال قيد التنفيذ .. وإذا كانت الهيئة الأساسية لإنشاء المحافظة هي الزراعة، فإن شجرة القات تحتل معظم أراضي مديريات المحافظة الجبلية، التي تشتهر بجودة قاتها، على حساب بقية المزروعات التي انقرضت .. ولا شك في أن عامل القات قد تسبب في إنعاش هذه المديرات اقتصادياً، يتجلى أثره في السجوة المستحدثة التي طغت على الشاهل والحباشة والفقل، وساعد على خلق تجمعات بشرية في كثير من المديرات .. بينما تحظى مديريات الساحل بزراعة الأذرة بانواعها والخضروات وأشجار المانجو التي صارت تُشكل مزارع ذات طاقة إنتاجية عالية .. لكن، مع ذلك، بقيت مديريات كثيرة - لعل أهمها خيران واسلم وبكيل المجر - واقعة بين الجبل والسهل، فقدت مميزات المناخ الجبلي وسعة السهل، وهو ما يعكس على الحياة العامة لسكانها الذين تزدني نسبة دخلهم، مما يضطرهم للهجرة إلى مديريات أخرى .. بالإضافة إلى افتقار هذه المديرات للخدمات المختلفة من كهرباء وماء ومشاريع خدمية أخرى .. وفي القادم من

سليم من أجل استقطاب السياحة

ويرز دوره بشكل أكبر في تاريخ اليمن المعاصر .. وارتبط حصن وقلعة القاهرة بنضال شعبنا وكفاحه المرير ومقاومته للظلم والإستبداد ومسيرة الثورة منذ الإرهاصات الأولى لقيام الثورة المباركة في الأربعينيات من القرن الماضي .. وتمتاز قلعة القاهرة بموقعها وتخطيطها وفن عمارتها .. إنها تحفة رائعة وأثر جمالي تار لفن البناء، ونموذج حي في العمارة الحربية اليمنية الأصيلة المتميزة من حيث الشكل والمضمون وحسن الاختيار للموقع وتحصيناته .. ويسعى مكتب الآثار بالمحافظة حالياً إلى إعداد الترتيبات اللازمة لترميم وصيانة قلعة القاهرة وإعدادها وتأهيلها كمتحف نموذجي يليق بمكانة القلعة و«بورها» وتاريخ المحافظة وتراثها اليمني العريق..

### بانوراما سياحية

■ ومحافظة حجة، بشكل عام، غنية بالآثار والمعالم الحضارية والأبنية والشواهد التاريخية المعيرة عن الأصاله والعمق الحضاري المتحيز الذي تؤكده التراث وأطلال المدن والدرجات المساحد وقنوات الري ومواجه الماء والمساحد والمقابر والأضرحة وهجر العلم والعارف والحصون المشهورة والمنشرة في حجة والظفير وكحلان عفار ومدين وبني العوام والشاغرة والحباشة والشاهل وميدي وغيرها من المناطق الغنية بالآثار والشواهد التاريخية المهمة والمعالم الحضارية البارزة..

وتتركز المحافظة بثروة ضخمة من التراث الفكري العربي والإسلامي .. وتضم المكتبات العامة والخاصة وهجر وبيوت العلم بمحافظة حجة نفائس المخطوطات في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية .. وظل الموروث الشعبي اليمني لهذه المحافظة يتجدد وتتوارثه الأجيال، ويقي حياً وفاعلاً في حياة الناس وسلوكهم اليومي وثقافتهم العامة، ويتسكّل في الرقص والغناء والأبج الشعبي والأساطير والحكايات والسفر والأمازيج والأعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد والمراسيم والطقوس والمعقدات والشعائر الدينية وكرم الضيافة والحرف والصناعات الشعبية والمشغولات اليدوية .. وكل هذه العناصر بحاجة إلى دعم وتوثيق .. حيث لم يتم الالتفات إليها بعد .. وكل ما نكرناه بعد جانباً مهماً من جوانب السياحة في بلادنا .. فإلى جانب مناخها المتنوع وتضاريسها المختلفة وموقعها الجغرافي المتميز، تحظى بخصوصية التربة ووفرة المياه والمساحة الواسعة من اعالي الجبال الشاهقة المنحدرة في اتجاه الغرب نحو الوديان والأراضي السهلية والساحلية حتى أعماق البحر .. حيث تربض أربع وعشرون جزيرة في مياه البحر الأحمر .. وكل ما ذكرناه يمكن أن يوظف بشكل سليم من أجل استقطاب السياحة

■ على صغر مدينة حجة، إلا أنها عالمٌ فريد طبيعياً هوأها الرقراق، وطقسها المسيز، واناسيسها الرائعين، الذين استهوهم المكوث هناك على ارتفاع ألف وتسعمائة متر من مستوى سطح البحر، فلا تملك إلا أن تملأ برئكتك من هذا العبير الملئ الذي يحفك من ذات اليمين وذات الشمال، ولا تملك إلا أن تقف مشهوها لتلك القلعة التاريخية (قلعة القاهرة) التي تتسجد أعلى قمة في المدينة، منحاظة بأسوارها وأبراجها المشيدة، كشاهد أبدي على جزء لا يتجزأ من تاريخ الإنسان اليمني الذي عقد صلحاً مع البيئته واستمد منها الحماية، فأمثته، وبأبائها الألفة، فمحتحه التكف والطمانينة..

منذ الصباح الباكر تبدأ الحركة، وكل وجهه هو ضوليها، .. طالب المدرسة إلى حيث يبحث عن وجود معرفي وتربوي، وطالب الكلية الطامح إلى التزوّد بالعلم والتسلح بما يمكن أن تهبه إياه كلية التربية من إثارة عقلية يمكن له أن يبني العزائم، بينما يحفظ الشاعر الرئيسي باشاة والسبارات الدائمة والقادمة، ترى أفئدة الناس، التي تهوي إلى غرب المدينة، حدث إلى هناك تشد الرجال .. فهناك على جانبي ميدان (حورة) المجمع الحكومي وإدارة الأمن ومكتب التربية، الجهات الرسمية الأخرى أشغالا بالناس، وفي الجانب الغربي من الميدان الشهير جامع (حورة) الفريد بمعماره وبركة المائنية وتصميمه الهندسي..

ميدان حورة هو متنفس حجة، وصدرها الريح .. ميدان ابتلع دماء الألف الناس، بدءاً من شهداء الثورات أصبح منصة للاحتفالات والمهرجانات المختلفة، وهو كذلك ملعب رياضي يجري العمل حائلاً على استكمال بناءه وتشبيد مدرجاته..

■ إلى الشرق من ميدان حورة، وانت تسير في الطريق العام، بفلك السوق، وإلى الأسفل منه شرقاً السوق القديم، الذي لا يزال قائماً على نمط الأسواق اليمنية القديمة، وتمازس فيه الكثير من الحرف والصناعات الشعبية والمشغولات اليدوية بالطريقة التقليدية..

### حجة .. التاريخ الحاضر

■ حجة من المدن القديمة ذات التاريخ الطويل، وتنسب إلى حجة بن اسلم بن عليان بن زيد بن حنم، وتسمى مدينة الضباب والنصر ومقفي الأجراس ومقل الثورة والثوار .. حين تقف في حجة القديمة يتالك من الجنوب حصن نعمان المطل على مدينة حجة القديمة، بينما تقابل من الناحية الأخرى قلعة القاهرة وأبنية ومعالم أخرى هامة الأثرية بنضال شعبنا اليمني الحديث والمعاصر وما تزال قائمة في الجدي والحضارية والأبنية ونافع وسعدان وحورة .. إضافة إلى برك وسواحل الماء الحفورة والمفقورة في الصخور الصماء في الضيبي والداخلي وحورة والقلعة، وحافظت نصار والظهيرين .. والتي ارتبطت بالحياة العامة لهذه المدينة وأهلها، وكانت حتى وقت قريب المصد الرئيسي لتزويد السكان بالماء، وأضحت جزءاً مهماً من تاريخ مدينة حجة وتراثها الحضاري الخالد وضمن المعالم السياحية الهامة والمميزة بمدينة حجة..

### قلعة القاهرة

■ قلعة القاهرة، واحدة من أهم المعالم السياحية والأثرية الهامة، تقع فوق ربوة عالية ومترقعة تطل على مدينة حجة، وتتكون من سور ضخم دائري الشكل ارتفاعه (١٠ و٧) أمتار تقريباً، جدرانها سميكة ومشيدة بالحجر صلبية ومصقولة، وتسنده أبراج دفاعية مستديرة الشكل بارزة إلى الخارج ومرتفعة عن جدار السور، وهي تتكون من طابقين إلى ثلاثة .. وتتخلل جدار هذا السور فتحات صغيرة للمراقبة والرماية ومتناريس للدفاع عن القلعة، ويفتح في جدار السور الأمامي مدخل معقود يؤدي إلى مقر ضيق تفتح عليه حجرات الحراسة، وينتهي إلى فناء مكشوف يضم مبنى القصر المكون من أربعة طوابق ومليح من المبانئ، مدافع الحبوب، وبرك الماء المقفورة والمنقورة على الصخور، أصماء، وعدد من الغرف والمخازن الملائقة لجدار السور من الداخل .. إضافة إلى الأبنية والرائق الهامة الواقعة خارج السور من الجدين الشمالية الشرقية والغربية.. وتعد قلعة القاهرة أحد الحصون المنيعة والمشهورة في بلادنا، وقد عرفت بحصن الظهيرين منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وظل ذكره يتربد في كثير من المواقع والأحداث الهامة التي أسهمت في صنع تاريخ اليمن الإسلامي الحديث،